سلسلة

نظريات الإسلام العسكرية

٤

# النظرية الإسلامية في

# العقيدة العسكرية


اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ



دار الاعتصام

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى - تليفون ٢٦٠٣١/٣١٧٤٨ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع

سلسلة

نظريات الإسلام العسكرية




اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام





اللواء اركان حرب
محمد جمال الدين على محفوظ

* ولد فى اغسطس ١٩٢٢ ميلادية ووالده علم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والارشاد .

* مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والأركان والادارة العليا والتوجيه المعنوى والحرب النفسية والإعلام . وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

* تخرج فى كلية القادة والاركان فى مصر وحصل على دراسات عسكرية عليا فى اكاديمية ناصر العسكرية

* حصل على دورات دراسية فى كثير من المعاهد الأجنبية لأمريكا وانجلترا وروسيا .

* حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .

* عمل مديرالتوجيه المعنوى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ م فكان من أبرز أعماله انه أقام منهج اعادة الروح المعنوية على أساس منهج الإسلام .

١ ــ فجعل (( الجهاد فى سبيل الله )) هى عقيدة القتال للجيش .

٢ ــ وجعل (( النصر او الشهادة )) هى شعار الجيش .

٣ ــ وجعل (( الله أكبر )) هى صيحة القتال .

٤ ــ وجعل لعلماء الدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا فى معايشة الجيش وربط نشاط رجاله فى السلم والحرب بالدين وقد كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان .

* المؤلفات العلمية والكتب :

له اكثر من ٢٠ كتابا فى العلوم العسكرية وفى القيادة العسكرية وأساليب التعليم والادارة العلمية وفى التوجيه

المعنوى وما زال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى الجيش المصرى .

* تخصص فى دراسة العسكريةالاسلامية منذ اكثر من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وابحاث ومقالات فى المجالات الاسلامية فى مصر والعالم العربى كما قدم عددا من الأحاديث الدينية فى الاذاعة والتليفزيون وخاصـــة برنامج «نور على نور» وشارك فىأعمال المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد فى لندن فى فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع والعالم الاسلامى ببحث عنوانه «الفكر العسكرى فى الاسلام» والمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى عقد فى الدوحة ( دولة قطر ) فى نوفمبر ١٩٧٩ .

* يحمل لواء الدعوة الى احياء امجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية

* ومن أحدث مؤلفـــاته :

١ ــ كتاب «المدخل الى العقيـــدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية» .

٢ ــ كتاب «تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية» .

٣ ــ كتاب «العسكرية الاسلامية ونظريات العصر».

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبقت حكمته ان تكون الامة الاسلامية ، امة قوية مرهوبة الجانب فأوجب عليها الجهاد فى سبيله ، وأمرها باعداد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، كما فى قوله جل شأنه : (( وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم )) ( الحج : ٧٨ ) وفى قوله سبحانه : (( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )) ( الأنفال : ٦٠ ) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وامام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..

● فان الاسلام ، كما نظم امور الحياة دنيا ودينا ، قد نظم امور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادىء والنظريات الأساسية ، التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبادىء والنظريات التى تقوم عليها اية مدرسة عسكرية شرقا او غربا .

● وعلى اســاس هذه المبادىء والنظــريات ، قامت الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، التى طبقها المســلمون الأوائل فى معاركهم التى خاضــوها اعلاء لكلمة الله وواجهوا بها اعداء يفوقونهم فى العدد والعدة ، فانتصروا عليهم باذن الله ، وامتدت فتوحاتهم فى أقــل من مائة عام من الصــين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، وهزموا فى المعركة البحرية ــ وهم ابناء الصــحراء ــ أســطول بيزنطة أقوى اساطيل زمــانه .

● ثم تعرض العــرب والمسلمون ــ يوم تخــلوا عن الجهاد ــ لحرب حضــارية استهدفت طمس معالم حضارتهم وفرض التبعية عليهم حتى اصبح العسكريون فى كثير من دول العرب والاســلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية ، واعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكرى للدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة !! .

● ان التكليف القرآني بالجهاد ، وباعداد القوة والمرابطة، تكليف قائم وباق حتي تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك الا تفتر عزائم الأمة الإســلامية عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر .

● فواجب الأمة العربية والاسلامية ــ وهى تتجه نحو

النهضة الحضارية الشاملة ـ أن تتخذ من مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من أهم ما تتميز به تلك المبادىء أن لها ـ بحكم انبثاقها من الدين ـ من الأصالة ، ما للدين من أصالة ، وأن لها ـ فى كل عصر ـ من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التى تعمل بها ـ قوى لا تقهر باذن الله .

● ومن أجـل ذلك سـوف نتناول النظريات العسكرية الاسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها باحدى هذه النظريات .

نسال الله تعالى أن ينفع بها العرب والمسلمين وأن يوفقنا جميعا الى كل ما فيه عز الاسلام والمسلمين .

لـــواء

محمد جمال الدين محفوظ

٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل ـ الماظة ـ مصر الجديدة



# ماهية العقيدة العسكرية

## العقيدة العسكرية :

العقيدة العسكرية (١) للدولة هى السياسة العسكرية المعبرة عن وجهات النظر الرسمية لهذه الدولة ، والمتعلقة بالمسائل والقواعد الأساسية « للصراع المسلح » والمتضمنة لطبيعة الحرب من وجهة نظرها وطرق ادارتها والأسس الجوهرية لاعداد البلاد والقوات المسلحة لها . وهى نتاج مركب لأبحاث علمية ودراسات تاريخية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدول ككل بغرض خلق وتطوير وجهات النظر الرسمية فى الصراع المسلح . وتتأثر العقيدة العسكرية للدولة بأهدافها القومية وخططها السياسى العام ومواردها الاقتصادية والاجتماعية والمعنوية والعوامل الجغرافية . لذلك تختلف العقيدة العسكرية باختلاف ظروف كل دولة فلا يمكن القول ان هناك عقيدة عسكرية واحدة لكل الدول .

وتحدد العقيدة العسكرية الأسس العامة والمبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية وقواعد اعداد الدولة للحرب وتنظيم وتطوير قواتها المسلحة والأساليب الرئيسية لادارة الصراع المسلح .

---

(١) العقيدة العسكرية وهى كلمة لاتينية تعنى النظرية العلمية أو الفلسفة . م ١ .

## مبادىء وضع العقيدة العسكرية وتطويرها :

١ ــ بما أن العقيدة العسكرية تتبلور من واقع التركيب الشامل لكافة أنشطة الدولة وتعبر فى الوقت نفسه عن افكارها الرسمية ، لذلك تتولى القيادة السياسية العسكرية العليا للدولة تحديد المبادىء الأساسية التى تبنى عليها العقيدة ، باعتبار هذه القيادة السلطة الوحيدة القادرة على توجيه البناء العسكرى للدولة ، النابع من نظرتها نحو الحرب وتقديرها لطبيعتها ، ذلك البناء المتناسق مع الأهداف السياسية والامكانيات الاقتصادية لكلا الجانبين المتضادين . فضلا عن ذلك فان تبنى القيادة السياسية لمبادىء وقواعد العقيدة العسكرية يمد هذه العقيدة بالقدرة على التأثير المباشر فى كافة انحاء الدولة واجهزتها المختلفة .

* * *

٢ ــ ان محتوى العقيدة العسكرية هو محتوى تاريخى فى طبيعته ، يتغير تبعا للتغيرات الجذرية فى الأفكار السياسية والعسكرية . فان الحروب ــ حتى ما يقع منها خلال فترة زمنية واحدة ــ قد تختلف اختلافا كبيرا فى أساسها وطبيعتها واهدافها السياسية ، كما تختلف فى مداها ووسائلها واساليب ادارتها .

٣ ــ عادة ما توضع أحكام العقيدة العسكرية وقت السلم حتى تتاح فرصة اختبارها وتجربتها أثناء الحرب

حيث تثريها التجارب وتستبعد منها الأفكار التى لا تتفق مع النواحى التطبيقية .

٤ — تحدد العقيدة العسكرية الاتجاه الأساسى للبناء العسكرى للدولة ومطالب اعدادها للدفاع تحديدا واضحا وسليما . وهى فى الوقت نفسه ذات طبيعة عامة حتى لا تقيد الفكر العسكرى عن الانطلاق أو تربطه بمبادىء جامدة غير قابلة للتطوير أو تعميق المبادأة لدى القادة العسكريين القائمين على قيادة القوات .

٥ — تنظر العقيدة العسكرية الى المستقبل دائما ، وهذا لا يعنى انها تتخلص أو تتغاضى عن تجارب الماضى أو خبرات الحروب السابقة . ومن الضرورى أن تتصف بالمرونة حتى تكون قادرة على سرعة التجاوب مع كل ما هو جديد فى العلم العسكرى أو التطبيق القتالى ، وعلى سرعة مجابهة التغييرات التى تطرأ على العلاقات السياسية بين الدولة والدول الأخرى والتحولات التى تحدث فى النظم الدولية عامة .

* * *

**محتوى العقيدة العسكرية :**

يحتوى تعريف العقيدة العسكرية على وجهين أحدهما سياسى والآخر عسكرى ، غير أن كلا الوجهين يشكل وحدة فكرية متجانسة ومترابطة ترمى الى تحقيق أهداف موحدة ومحددة .

## أولا ـ الوجه السياسى للعقيدة العسكرية :

هو مجموع المبادىء ذات الصبغة السياسية التى تعالج المسائل المتعلقة بالصراع المسلح والتطور العسكرى ككل وهى تشكل الأساس السياسى للعقيدة وتشمل :

١ ـ الخواص السياسية المميزة للصراع المسلح وهى تشمل انعكاسات السياسة العالمية والاقليمية والمحلية على طبيعة الصراع المسلح .

٢ ـ المحتوى الإجتماعى والسياسى للصراع المسلح وهو يشمل وجهة نظر الدولة تجاه آثار النظم الاجتماعية والسياسية القائمة لدى الطرفين على الصراع المسلح .

٣ ـ اتجاهات التحضير للحرب وادارتها .

٤ ـ اتجاهات إعداد الدولة للحرب اقتصاديا ومعنويا .

٥ ـ احتمالات تجنب الحرب أو قيامها وذلك بناء على

دراسة الأهداف السياسية القومية للجانبين والعوامل السياسية التى تؤدى الى احتمالات قيام الحرب أو تجنبها .

* * *

٦ — امكانيات عقد معاهدات سياسية — عسكرية لتوحيد الجهود السياسية والعسكرية تجاه هدف سياسى عسكرى .

٧ — العوامل السياسية التى تحدد بداية الحرب وسيرها وتوقفها ، وهى تعنى دراسة للعوامل والشروط السياسية الاقليمية والعالمية التى تؤثر على تحديد بداية الحرب وسيرها وتوقفها .

٨ — وجهة نظر الدولة بالنسبة لاستخدام الأسلحة الحديثة ( كالسلاح الذرى مثلا ) .

* * *

## ثانيا : الوجه العسكرى للعقيدة العسكرية :

هو مجموع المبادىء ذات الصفة العسكرية الخاصة التى تعالج المسائل المتعلقة باعداد واستخدام القوات المسلحة فى الحرب وتحدد مجالات تطور فن الحرب بمستوياته

الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية (١) بالاضافة الى تطوير نظام تزويد القوات المسلحة بالمعدات الحربية وتشمل :

* * *

١ ــ المعالم المميزة لشكل الحرب وتشمل تحديد الهدف الاستراتيجى للحرب وشكل الحرب وشكل المرحلة الافتتاحية

٢ ــ أساليب دراسة القدرات العسكرية للعدو المنتظر ومستوى استعداده للحرب .

٣ ــ دراسة تأثير العوامل المؤثرة على شكل الحرب

---

(١) اصطلح العسكريون على تقسيم فن الحرب الذى يحتوى على جميع المسائل المتعلقة بالاعداد للحرب وبادارتها الى مستويات ثلاثة تتدرج من أعلى لأسفل .

● المستوى الأول : ويسمى الاستراتيجية العليا ، ويتعلق بالمسائل الرئيسية ويعبر عنه بسياسة الحرب من الناحية السياسية والعسكرية معا .

المستوى الثانى : ويسمى الاستراتيجية ، ويتعلق بالجانب العسكرى فقط من الصراع لكى يحقق الأهداف التى تحددها له الاستراتيجية العليا .

المستوى الثالث : ويسمى التكتيك ، ويتعلق بالقتال الفعلى أى هو « فن القتال » .

ومنها المفاجأة والمدى الزمنى والمدى الجغـرافى والاسـلحة الاستراتيجية (١) .

٤ ــ مطالب الكفاءة القتالية ومستوى الاستعداد القتالى للقوات المسلحة وتشمل وسائل اعداد الفرد المقاتل وتهيئة القوات المسلحة بعناصرها المختلفة للحرب ومدى استعدادها القتالى عند بداية الحرب .

* * *

٥ ــ المســائل الأســاسية فى تنظيم وتطوير القــوات واساليب تطويره .

٦ ــ الأساليب الاستراتيجية لادارة الحــرب وتشمل الأفكار الاستراتيجية الحيوية المتضمنة لنظريات فن الحــرب وتطبيقها على مستوياته المختلفة .

٧ ــ التدابير الرئيسية لاعداد الدولة اقتصاديا ومعنويا للحرب ويشــمل الاعداد الصناعى والزراعى واعداد الدولة

---

(١) الســلاح الاســتراتيجى هو الســلاح الذى يؤدى استخدامه ــ خاصة فى المراحل الأولى للحرب ــ الى الحاق اضرار بالعدو وتخلق موقفا أستراتيجيا حاسما يؤثر على نتائج الصراع المسلح ، ومن أمثلة الأسلحة الاستراتيجية الطيران والصواريخ بعيدة المدى والأسلحة النووية .

كمسرح للحرب ، والاعداد المعنوى والوقائى لجماهير الشعب والدفاع المدنى .

ومحتـــويات العقيدة العســـكرية التى ذكرناها بوجهيها السياسى والعسكرى قابلة للتغير والتطوير أما أسس العقيدة العسكرية فنادرا ما تتغير .



# خصائص العقيدة العسكرية الإسلامية

## القرآن والسنة هما مصدر العقيدة العسكرية :

عرفنا أن العقيدة العسكرية لأية دولة هى السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية لهذه الدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها ( من وجهة نظرها ) وطرق ادارتها والأسس الجوهرية لاعداد البلاد والقوات المسلحة لها .

وعرفنا أيضا أن العقيدة العسكرية تنبثق من الأهداف والغايات القومية العليا وأنه بمقتضاها يتم تحديد الأسس العامة والمبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية .

وبالنسبة للأمة الاسلامية ، يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة — من وجهة النظر الفنية للاستراتيجية العسكرية — الوثيقة الاستراتيجية الأساسية التى تستقى منها العقيدة العسكرية الاسلامية .

فالقرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله والتقرب اليه فحسب وانما هو الى جانب هذا وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه دستور من أعظم الدساتير التي عرفتها الانسانية فى تاريخها الطويل الممتد عبر

الزمن وذلك بما تضمـــنه من القواعد القوية الكفيلة بقيـــام المجتمع الانسانى السليم كما يقول الله تعالى :

**(( ما فرطنا فى الكتاب من شىء )) .**

وكمـــا يقـــول :

**(( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النـــور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم )) .**

( المائدة : ١٥ ، ١٦ ).

والرســـول بما سنه فى قوله وعمله وتقريره كما يقول الله فيـــه :

**(( لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين )) .**

( آل عمـــران : ١٦٤ )

* * *

فان ذلك يفهم منـــه انه ــ عليه الســـلام ــ منة عظمى من الله على المؤمنين ، يتلو عليهم آيات القـــرآن ويبينهـــا ، ويتعهدهم بالتربية والتزكية والتعليم ، وما يدخـــل فى معنى الحكمة ، من قول حكيم وعمـــل محكم ، وعلم نافع ، فقـــد

فسرت الحكمة بالسنة ، وهى ما صـــدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، أو عمل من غيره يقــره ويراه حقا ورشدا ، فالقرآن والسنة هما مصدر العقيدة العسكرية وكل عقيدة اسلامية وقد قال صلى الله عليه وسلم عنهما فى كتاب حجة الوداع (( **تركت فيكم ما أن تمسكتم به فلن تضـــلوا بعدى ، كتاب الله وسنة نبيه** )) .

وقال تعـــالى فيها :

(( **وكذلك أوحينـــا اليك روحـــا من أمـــرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم** )) .

( الشورى : ٥٢ )

* * *

**العقيدة العسكرية الاسلامية ليست قانونا وضعيا :**

واذا كانت العقائد العسكرية لدول العـــالم تصـــوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية العسكرية فى ضوء نظرتها نحو الحرب وتقديرها لطبيعتها وأهدافها السياسية وامكانياتها الاقتصادية وغير ذلك من الظروف الاستراتيجية ، فان شأن هذه العقائد شأن القوانين الوضـــعية التى تنتجهـــا عقول المشرعين من البشر وتخضع للظروف وتنطوى على الصواب والخطأ معا ، وهذا ما تثبته أحداث التاريخ على مر العصور ،

فانها تؤثر وتغير فى المبادىء والقواعد التى تقوم عليها العقائد العسكرية بحكم تأثرها نفسها وتغيرها من وقت الى آخر ، ومن عصر الى عصر ، وفى الظروف والأحوال المختلفة التى تتقلب فيها الدولة أو تتطور .

* * *

أما العقيدة العسكرية الاسلامية فانها ـــ بحكم انبثاقها من القرآن والسنة ـــ تتبوأ مكانة عالية وتتميز بالاستقرار والثبوت لأنها من هدى الدين وليست ميراثا لحروب البشر ، فالرسالة الاسلامية ليست من صنع انسان يخطىء ويصيب وانما هى من الله انزلها على رسوله بالتعبير الالهى نفسه ، كما أنها فى غاية الاحكام والدقة جملة وتفصيلا ، لأنها من لدن حكيم خبير ، لا يخطىء ولا يخفى عليه شىء وقد أودعها كتابا :

**« أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »** .
( هود : ١ )

**« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** .
( فصلت : ٤٢ )

وقد تكفل الله بحفظ هذا الكتاب على مر العصور والأيام فلا يتغير ولا يتبدل ، كما يفهم من قوله تعالى **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** وكما يفهم من الواقع التاريخي الذى

يشـــهد بأنه لم ينااله تحـــريف أو تزييف بل ظـــل محفوظـــا فى الصـــدور والســـطور . ليظل حجة على الناس الى يوم القيامة ، ويتصـــل بوسائل حفظه ما جـــاد به العلم حديثا من وســـائل التسجيل على الاســـطوانات والأشرطة ليتسع الانتفاع بهديه على أوسع نطاق ، وليقع الاستماع اليه فى كل مكان فى الأرض ولا تزال ــ وستظل كذلك ــ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مذكرة تفسيرية لهذا الكتاب ، فانها بيان له . كما يقول الله :

**(( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم )) .**
( النحـــل : ٤٤ )

وقد كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما قالت عائشة : كان خلقه القرآن .

* * *

## العقيدة العسكرية الإسلامية ذات طابع سلمى دفاعى :

وقد وضع الاسلام نظاما شاملا للحرب يتسم بالرحمـــة والعـــدل ويطبع العقيدة العسكرية التى تستقى منـــه بطابع سلمى دفاعى يبدو واضـــحا جليا لا لبس فيه ولا ابهام عند دراسة العناصر التالية :

١ ــ طبيعة الاسلام باعتباره دين سلام .

٢ ـ نظرة الاسلام الى المجتمع الانسانى .

٣ ـ حرية الاختيار فى الدعوة الى الاسلام .

٤ ـ اسـباب القتـال فى الاسـلام .

٥ ـ الهدف من اعداد القوة فى الاسلام .

٦ ـ أسلوب الاسلام فى فض المنازعات بالطرق السلمية

* * *

## ١ ـ الاسلام دين السلام (١) :

ان الاسلام رسالة الخير والحق والمحبة والسلام ، وقد ارتضاه الله دينا لتوجيه الناس الى أقوم السبل وهدايتهم الى الصراط المستقيم ليصلوا منه الى سعادتى الدنيا والآخرة .

وتحتل فكرة « السلام » المقام الرئيسى بين أهداف الاسلام ومقاصده العامة ، بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من اتباع الاسلام هى الاهتداء الى طريق « السلام » والنور كما يفهم من قول الله فيه :

---

(١) ورد لفظ ( السلم ) وما اشتق منه فى القرآن فيما يزيد على ١٣٣ آية بينما لم يرد لفظ ( الحرب ) فى القرآن كله الا فى ست آيات فقط .

**« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهـــدى به الله من اتبع رضوانه سبل الســـلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .**

( المائدة : ١٥ ــ ١٦ )

والسلام فى مبادىء الاسلام اصل فى عقيدته ، وعنصر من عناصر تربيته وهدف يعمق الاحساس به فى ضمير الفرد وفى واقع المجتمع وفى بناء الأمـــة ، ويبدو ذلك من ملاحظة ما يـــلى :

فالسلام اسم من أسماء الله عـــز وجـــل كما يقـــول :

**« هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » .**

( الحشر : ٢٣ )

* * *

وقد ســـمى الله الجنـــة دار الســـلام ودعـــا النـــاس اليها فقال :

**« والله يدعو الى دار الســـلام ويهـــدى من يشـــاء الى صراط مستقيم » .**

( يونس : ٢٥ )

كما جعل دار السلام فى الآخرة لمن تواضع للناس ولم يتعاظم عليهم فى الدنيا كما يفهم من قوله تعالى :

**(( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين )) .**

( القصص : ٨٣ )

* * *

وكما يفهم من قوله جل شأنه :

**(( يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين )) .**

( البقرة : ٢٥٨ )

والسلام هو تحية المسلم للمسلم ، وآخر ما يقوله فى كل صلاة يؤديها لله .

* * *

**٢ ــ نظرة الاسلام الى المجتمع الانسانى :**

ينظر الاسلام الى الانسانية عامة نظرة التكريم والاحترام ويضع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون لكل كرامته الآدمية وحقوقه فى الحياة .

فالعدل والرحمة والمساواة فى الحقوق والواجبات أمور

يفرضها الله لجميع الناس ما لم يكن منهم اعتداء وخروج عن حدود الله ، وكرامة الانسان حق نوه الله به حيث قال :

**« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .**

( الاسراء : ٧٠ )

* * *

والناس على اختلاف السنتهم والوانهم واماكنهم اسرة كبرى ترجع الى اصل واحد فالروابط بينهم يجب أن تكون روابط أخوة تسودها المودة والرحمة والمساواة والعدالة والتعاون على ما فيه سعادة الجميع وسيادته وعزته ، كما يفهم من قوله تعالى :

**« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .**

( النساء : ١ )

وقوله تعالى :

**« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .**

ثم هم مع أصلهم الواحد ، من منبت واحـد ، هو هذه الأرض التي يقول الله فيها :

**(( منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى )) .**

( طـه : ٥٥ )

وهم على اختلاف السنتهم والوانهم ومواطنهم مظهر من مظاهر قدرة الله . وآية من آياته كما يقول جل شأنه :

**(( ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين )) .**

( الروم : ٢٢ )

وكما يفهم من قوله :

**(( ومـن آياته أن خلقكم مـن تراب ثـم اذا أنتم بشر تنتشرون )) .**

( الروم : ٢٠ )

* * *

ومن ثم كان المقياس الذى يتفاضل به الناس أمـرا آخر وراء اختلاف الألوان والألسنة والمواطن ، فان ذلك لا يد لهم به ولا فضل لهم فيه ، وهذا الأمر هو التقوى كما يقول الله :

**(( ان أكرمكم عند الله أتقاكم )) .**

وكما يقول رسوله : ليس لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود فضل الا بالتقوى .

* * *

## ٣ — لا اكراه فى الدعوة الى الاسلام :

جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — الذى أرسله الله رحمة للعالمين — رسالة عامة تدعو العالم كله الى وحدة فى العقيدة ووحدة فى الاخوة والمشاعر وتقارب فى الأخلاق ونظافة فى السلوك وتعاون على البر والتقوى ، واحترام لحرية الاختيار ، ومساواة فى الحقوق والواجبات .

وقد بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم طريق الدعوة الى الاســلام وهو يقوم على الاقناع العقلى المدعم بالأدلة وايقاظ المشاعر وتحريكها ، عن طريق الموعظة وان استدعى الأمر المناقشة الجادة المفيدة وجب الترحيب بهـا واتخاذها أسلوب اقناع . كما يفهم من قوله تعالى :

**(( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضـل عن سـبيله وهو أعلم بالمهتدين )) .**

( النحـل : ١٢٥ )

* * *

فالحكمة والموعظة الحسنة هما سـبيل الاقناع العقلى واستمالة القلوب الى الحـق والخير والصراط المستقيم ..

وكما يتخذ الاسلام سبيل الاقناع فى الدعوة يترك للناس حرية الاختيار فمن شاء آمن ومن شاء اتخذ سبيلا آخر وتحمل مصير ما اتجه اليه ، وهذا ما يفهم من قول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكل من يتصدى للدعوة الى الاسلام .

**(( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )).**

( يونس : ٩٩ )

* * *

وقـوله تعـالى :

**(( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ))**

( الكهف : ٢٩ )

وقـوله جـل شـأنه :

**(( لا أكره فى الدين قد تبين الرشـد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم )) .**

( البقرة : ٢٥٦ )

وقوله سبحانه :

(( فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر )) .

( الغاشية : ٢١ ، ٢٢ )

فان ذلك يفهم منه أن طبيعة الدعوة الاسلامية ليس فيها من التعقيد والغموض والمشقة العقلية ما تحتاج معه الى اكراه سواء كان الاكراه جليا بالقوة المادية أو خفيا بالخوارق الحسية .. والدعوة الاسلامية أخذا من كتاب الله لا تخالف سنة الله من حيث ترك الناس وما يختارون لانفسهم عن طريق النظر والاقتناع ، ولا تبيح اتخاذ الاكراه وسيلة من وسائل الدعوة اليها ، وصاحب الدعوة الاسلامية ليس مسئولا امام ربه الا عن مهمة الرسالة التى بينها القرآن وهى التبليغ والانذار وليس مطالبا بايمان الناس حتى يسمح له باكراههم والعنف عليهم .

* * *

ثم ان كتاب الله مصدر الدعوة الاسلامية لا يحترم ايمان المكره ولا يرتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء فكيف يأمر بالاكراه أو يبيح اتخاذه وسيلة من وسائل الايمان بهذه الدعوة هذا الى أن الاكراه لا يزرع عقيدة فى القلب ، وانما يحمل على الاذعان فى الظاهر دون ايمان فى الوجدان . وواضح أن سلوك الدعوة الاسلامية هذا المسلك الودى الرقيق يراد منه علاج النفوس بالرفق وفسح المجال بالسلام وبذلك تكون دعوة

الاسلام فى منهجها متجاوبة مع صفات الله الذى سبقت رحمته غضبه، وتكون على نمط انسانى مثالى فى دفع السيئة بالحسنة وهذا هو الشعار الذى استقر فى الاسلام من أول العهد به واستمر اصلا من أصول دستوره المقررة الثابتة فى كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة رضى الله عنهم ، وسيظل كذلك ما دام الاســـلام سليما فى تصــور المسلمين وما دام المسلمون يحرصون عليه ، ويتمسكون به ويسترشدون بهديه فى علاقة بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بغيرهم ممن لا يدينون دينهم .

كما يقول الله :

**(( لا ينهــاكم الله عن الذين لم يقــاتلوكم فى الــدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقســطين * انما ينهــاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الــدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون )) .**

( الممتحنة : ٨ ، ٩ )

* * *

## ٤ ـ اسباب القتال فى الاسلام :

لا توجد فى القرآن آية واحدة تدل أو تشير الى أن القتال فى الاسلام شرع لحمل الناس على اعتناقه ، وانما تدل آيات القتال على أن القتال شرع للأغراض الآتية : ـ

(أ) رد العدوان .

(ب) الدفاع عن الدعوة وحرية التدين .

والاسلام حينما شرع القتال (١) نأى به عن الطمع والاستئثار واذلال الضعفاء وابتغاء طريقا الى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والمساواة .

* * *

فقد أقام المسلمون فى مكة أعواما يسامون سوء العذاب ويصادرون فى حريتهم الدينية ، ويضطهدون فى عقيدتهم التى اطمأنوا اليها ويفتنون فى أموالهم وأنفسهم حتى اكرهوا على الهجرة ، فخرجوا من ديارهم وأوطانهم ، ثم اقاموا فى المدينة صابرين لأمر الله راضين بحكمه ، وكانوا كلما همت نفوسهم بالرد على الظلم ، أو تطلعت الى الانتقام من الظالمين ، ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبر ، وانتظار أمر الله قائلا : « لم أومر بقتال لم اومر بقتال » ظلوا كذلك حتى كاد اليأس يساورهم ويفضى بهم الى الظنون . عند ذلك أنزل الله أول آية فى القتال :

**« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير * الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا**

---

(١) القرآن والقتال ــ الشيخ محمود شلتوت .

**ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز * الذين مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .**

( الحج : ٣٩ — ٤١ )

تناولت هـذه الآيات الكريمة الاذن بالقتال . وعللت هذا الاذن بما منى به المسلمون من الظلم وما اكرهوا عليه من الهجرة والخروج من الديار والأوطان بغير حق .

* * *

ثم بينت ان هـذا الاذن موافق لما تقضى به سنة التدافع بين الناس ، حفظا للتوازن ، ودرءا للطغيان ، وتمكينا لأرباب العقائد والعبادات من أداء عباداتهم والبقاء على عقيدة التوحيد والتنزية ثم ارشدت الى أن الله انما ينصر بمقتضى سنته من ينصره ويتقيه فلا يتخذ الحرب أداة للتخريب والافساد ، واذلال الضعفاء وارضاء الشهوات والمطامع وأنه لا ينصر الا من اذا تمكن فى الأرض عمرها ، وأطاع أمر الله فيها ، وكان داعى خير ومعروف لا داعى منكر وفساد، والله يعلم المفسد من المصلح :

« **ولله عاقبة الأمور** » .

هذه الآية هى الآية الأولى ، كما قلنا من آيات القتال

وهى آية واضحة ليس فيها شائبة من شوائب الاكراه فى العقيدة ، وانما هى على العكس تقرر أن التدافع بين الناس سنة من سنن الله الكونية لابد منها فى حفظ النظام وبقاء الصلاح والعمران ، ولولاها لفسدت الأرض ، وهدمت أماكن العبادة على اختلافها ، وتباين الوانها وانما يكون ذلك بتحكم الأقوياء الطغاة فى الأديان يعبثون بها ولا رادع ، ويكرهون عليها ولا مدافع والآية لا تنظر فى ذلك الى المسلمين خاصة ، بل تقول فى جلاء ووضوح : « **لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد** » . على هذا الوجه من العموم .

تقرأ بعد هذا آيات القتال التى وردت فى سورة البقرة :

**« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين * فان انتهوا فان الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين * الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين »** .

( البقرة : ١٩٠ ــ ١٩٤ )

* * *

تأمر هــذه الآيات أن يقــاتل المســلمون فى سبيل الله الذين يقاتلونهم وتأمرهم بتتبعهم حيث وجــدوا ، وتشتيتهم كمــا شتتوهم من قبل وتنهاهم عن الاعتداء وتؤكد هذا النهى بكراهة الله للعــدوان وعــدم محبته للمعتدين ، ثم ترشــد الى أن اخــراج النــاس من ديارهم وترويعهم من أمنهم ، والحيلولة بينهم وبين الاطمئنــان على الأنفس والأمــوال ، فتنة أشــد من فتنة القتل وازهاق الأرواح ، فليقاتل العاملون عليها والمثيرون لها كما يقاتل المقاتلون ثم تمنع الآيات المسلمين عن القتال فى الأماكن المقدسة ، والأزمنة المقدسة حتى يقاتلوا فيها ، فان انتهكت حرمتهم فيها ، واستبيح قتالهم ، ساغ لهم ان يردوا العدوان مثلا بمثل ، وجزاء بجزاء . ثم تخلص الآية بعد هذا وذاك الى بيــان الغاية التى تضــع الحرب عندها أوزارها ، وهى الا تكون فتنة فى الدين ، وأن يكون الدين لله ، ليحصــل الناس على حريتهم الدينية من غــير اضطهاد فيها ولا تعذيب عليها فاذا ما تحقق هذا الغرض ، واطمأنت اليه النفوس وجب وقف القتال .

وهذه الآيات بما تضمنته من المبادىء التى بيناها فى سبب القتال وغايته ليس فيها ما يقترب من فكرة الاكراه على قبول الدعوة ، بل هى وسابقاتها ناطقة بأحلى بيان ، وأوضح عبارة ، بأن السبب الذى من اجله أمر المسلمون بالقتــال هــو الاعتداء عليهم واخراجهم من ديارهم وانتهاك ما عظم من حرمات الله ومحاولة فتنة الناس فيما يدينون .

وكذلك هى ناطقــة بأن الغــاية التى يجب على المسلمين أن يكفوا عندها عن القتال هى انتهاء العدوان عليهم ، وتقرر الحرية الدينية خالصة لله ، غير متأثرة بضغط ولا اكراه .

وينطبق على أسباب الحرب فى الاســلام اصطلاح الحرب المشروعة التى اصطلح فقهاء القــانون الدولى أخيرا على انها تكون فى احدى حالتين (١) :

**أولاهما** : أن تكــون دفعا لاعتداء واقع بالفعــل وهذا هو الدفاع عن النفس .

**والثانية** : ان تكون الحــرب لحماية حق ثابت للدولة وانتهكته دولة اخرى دون مبرر وهذه من قبيل الجزاء الذي تحمى به الحقوق .

* * *

اما الحرب غــير المشروعة فتلك التي يقصد منها الفتح والسيطرة وبسط السلطان ، مثل تلك الحــروب التي تحدث عنهــا المــارشال مونتجمرى فقال : « فى وقت من الأوقات كان سبب الحرب يرجــع الى السعى للاستيلاء على أرض تنتج الطعام بوفرة ، ثم جاء عصر امتــلاك المستعمرات التى

---

(١) الشريعــة الاسلامية والقــانون الدولى العــام ــ المستشار على على منصور .

كانت تجلب الثروات للدول الاستعمارية فى أوروبا الغربية وقد تم الحصول على هذه الثروات بالقوة المسلحة وكانت المنافسة التجارية بين الدول الأوروبية سببا لاشتعال الحروب .

***

## ٥ ـ الهدف من اعداد القوة فى الاسلام :

يفهم من قول الله تعالى :

**« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .**

( الأنفال : ٦٠ )

ان الاسلام حين أمر باعداد القوة والمرابطة ، جعل القصد من ذلك ارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة التعدى على الأمة الاسلامية ، وهذا القصد ينطوى على أرفع المعانى السلمية والانسانية وحقن الدماء ، فطالما امتنع العدو عن العدوان فلن ينشب قتال .

## ٦ ـ فض المنازعات بالطرق السلمية :

يأمر الاسلام بفض المنازعات بالطرق السلمية كما يفهم من قول الله تعالى :

**« فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » .** ( الأنفال : ١ )

ويأمر بالتعاون بين المؤمنين على اقرار السلام والطمأنينة ، كما قال تعالى :

**« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .**

( المائدة : ٢ )

❊ ❊ ❊

أما موقف الاسلام ازاء ما يقع بين المؤمنين من الايذاء والاعتداء فيتضح من قوله تعالى :

**« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ❊ انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .** ( الحجرات : ٩ ، ١٠ )

فهذه الآيات الكريمة تتضمن (١) فى مدلولها بطبيعة

---

(١) الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام — المستشار على على منصور .

الحال وجوب المحافظة على استقلال الدول الاسلامية ووحدة كيانها وهو ما حاولت أن تصل الى تحديده المادة ١٠ من عهد عصبة الأمم فى عبارة منطوية غامضة . ولقد فشلت عصبة الأمم فى حسم النزاع بين كل من اليونان وايطاليا وبين اليابان والصين وبين ايطاليا والحبشة . كما فشلت زميلتها الأمم المتحدة من بعد فى حل مشكلة فلسطين ومشكلة المانيا الغربية والمانيا الشرقية ومشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا ومشكلة كوريا وفيتنام والكونغو وغيرها .

وليس المقصود من الاقتتال الذى نصت عليه الآية معناه الضيق وهو الحرب وانما المقصود المعنى العام وهو قيام الخلف بين جماعتين واشتجار النزاع ، فان وجد فتوجب الآية العمل على الاصلاح بينهما وبدهى أن اجراءات الصلح تشمل المفاوضة والوساطة والتحكيم . وبالجملة توجب الآية وجوب البت فى النزاع بقرار نهائى ملزم فان رضختا له واحترمتاه فكفى الله المؤمنين القتال وان بغت احداهما على الأخرى بأن لم تنزل على حكم جماعة الأمم أو أبت أن تفىء الى أمر الله أو لجأت الى العدوان فهى باغية خارجة على سلطان القانون الدولى الاسلامى متمردة على النظام ويجب اذن على جماعة الأمم ( وهى التى أصدرت القرار ) ، أن تضرب على يدها وتقاتلها لترغمها على الخضوع والرجوع الى الحق :

**« فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »** .

ما أروع هذا الاحتراز فشرع الله ان يحذرنا من أن نحيف على الفئة أو الدولة الباغية وأمرنا بأن يكون الصلح عادلا فلا اعتداء بأن الباغية بدأت بالعدوان وانها تسببت بعملها فى ازهاق كثير من الأرواح وانها حملت جماعة الدول الاسلامية على حربها وقتالها ، فيحذرنا الشرع الاسلامى من أن نتحامل عليها فنقتطع من أرضها قطعة نخص بها الدولة الأخرى او نفرض عليها غرامات حربية فوق التعويض العادل ، والآية كررت هذا المعنى وختمت بقول الله سبحانه وتعالى : **« واتقوا الله لعلكم ترحمون »** .

* * *

**الخلاصة :**

نخلص مما تقدم الى أمرين فى غاية الأهمية هما :

**أولا :** ان طبيعة العقيدة العسكرية الاسلامية سلمية دفاعية وغير عدوانية .

**ثانيا :** العقيدة العسكرية الاسلامية تتميز بخصائص كبرى تنفرد بها ولا تتسامى اليها أية عقيدة عسكرية أخرى .

**١ ــ فهى عقيدة سلمية أبدا :**

فاذا كان علماء الاستراتيجية يقولون ان محتوى العقيدة العسكرية للدولة هــو محتوى تاريخى فى طبيعته « ويتغير » تبعا للتغيرات الجذرية فى الأفكار السياسية والعسكرية ، فان العقيدة العسكرية الاسلامية ــ لصلتها العضوية برسالة الاسلام الذى هو دين سلام ــ لا تتغير ولا تتبدل ، كما تتبدل وتتغير عقائد الأمم الأخرى بحسب أهــواء الساسة أو القادة أو تحقيقا للمصالح أو الأطماع .

*** 

فحتى تقوم الساعة ستظل العقيدة العسكرية الاسلامية عقيدة ســلمية دفاعية غير عدوانية ، لا تقاتل للســيطرة أو التوسع أو الاستيلاء وانما تقاتل للدفاع ولرد العــدوان .. والأمة الاسلامية ملتزمة بتلك العقيدة التزامها بعقيدة الاسلام ولا تملك تغييرها ، بل ان على المســلمين اذا خافوا من قوم خيانة الا يسبقوهم الى الخيانة اذا كان بينهم وبينهم عهــد ، بل يجاهروهم بنقض العهد . كما يقول الله :

**« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .** ( الآنفال : ٥٨ )

**٢ ــ وهى عقيدة بينها وبين الاسلام ارتباط وثيق :** يصلها به ، ويخضعها لتوجيهه ، ويمدها بروحه .

**( أ ) فتعاليم الاســـلام :**

هى مصدر القوة والفاعلية للعقيدة العسكرية .

* * *

**(ب) والعقيدة العسكرية الاسلامية :**

هى الدرع التى تحمى رسالة الاسلام وتدافع عن الأمة الاســـــلامية .

وهذا الارتباط الوثيق هو الذى جعل المسلمين فى صدر الاســـلام كما وصفهم الفيلد مارشـــال مونتجمرى : « قوما لا يقهرون » اذ يقول فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » ما يلى : « فى غضون مائة سنة امتدت الامبراطورية الاسلامية من بحر لأورال الى أعالى النيل ومن تخوم الصين الى خليج بسكاى ، ولم تكن هناك سوى قوة واحدة لديها القدرة على مقـــاومة المسلمين فى ذلك الوقت وهى الامبراطورية البيزنطية بالرغم من فقدها للجزء الجنوبى الشرقى من امبراطوريتها .

وفى عام ٦٣٦ حشد الامبراطور البيزنطى جيشـــا مكونا من خمسين ألفا ليقاتل به العرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطى وبقيادة خـــالد بن الوليد والتقى الجيشـــان عند اليرموك ، وقد أسفرت المعركة عن هزيمـــة الجيش

البيزنطى وتشتتت صفوفه ولاقوا حتفهم على ايدى اهل الصحراء وأدى الى تقلص جبهة البيزنطيين حتى وصلت جبال طوروس ، كما سقطت الاسكندرية فى قبضة عمرو ابن العاص على الرغم من افتقاره لمعدات الحصار والخبرة فى فن الحصار نفسه ..

***

ثم يقول مونتجمرى : « ومن العوامل التى جعلت العرب قوما لا يقهرون شجاعتهم واقدامهم وحشدهم لقواتهم ، وقد وصفهم القائد البيزنطى نقفور فوقاس فقال : « عندما يتوقعون النصر فهم قوم غاية فى الجسارة يصمدون بثبات فى صفوفهم ، ويقاتلون باصرار فى وجه أعنف الهجمات ، وعندما يلاحظون أن وحشية عدوهم بدأت تتراخى يحشدون قواتهم ويهجمون باستماتة » .

وتحت عنوان الاسلام محرر الشعوب من العبودية يقول مونتجمرى : « ان أهم مميزات الجيوش الاسلامية لم تكن في المعدات او التسليح أو التنظيم بل كانت فى الروح المعنوية العالية النابعة من قوة ايمانهم بالدعوة الاسلامية وفى خفة الحركة التى ترجع الى مهارتهم فى سرعة التحرك بالجمال والخيل وأيضا فى قوة احتمالهم وجلدهم نتيجة لحياتهم الصعبة فى الصحراء التى تعودوا عليها ، على أن هناك عوامل أخرى شاركت فى نجاح زحفهم غير العادى ذلك الزحف

الذى كان عبارة عن نجـــاح تلو النجاح ، فقد كان العـــرب يندفعون نحو القتال ويحركهم أقوى دوافع الحرب ألا وهو الايمان والعقيدة ، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعا ، فالكثيرون منهم وخاصة فى المراحل الأولى للفتوحات الاسلامية . كانوا يؤمنون ايمانا راســـخا بالدعوة الاسلامية ويتحمسون لها ويغارون عليها . وأدى هذا الى اعتناقهم مبدأ صلبا هو « الجهـــاد فى ســـبيل الله » وقد تغلغل هذا المبدأ فى قلوب اتباع الرسول .

وقد وصلت الفتوحات الاسلامية مدى لم تصله فى أى عهد سباق ، وذلك ليس لأنهم كانوا أكثر عـــددا بل لأنهم كانوا يستقبلون فى كل مكان يصـــلون اليه كمحررين للشـــعوب من العبودية وذلك لمـــا اتســـموا به من تســـامح وانسانية وحضـــارة ، فزاد ايمان الشعوب بهم ، علاوة على تميزهم فى الوقت نفسه بالصلابة والشـــجاعة فى القتال . وقد أدى كل هذا الى اعتناق معظم الشعوب التى انتصر عليها العرب الدين الاسلامى ، وقد ظلت جميع المناطق التى فتحها العرب فى القـــرن السابع حتى يومنا هذا ما عدا اســـبانيا تحتفظ بالدين الاســـلامى وكذلك بالعـــادات والتقاليـــد والتراث الاسلامى (١) » .

---

(١) الحرب عبر التاريخ ــ للفيلد مارشال مونتجمرى ــ تعريب العميد فتحى عبد الله النمر .

# عقيدة الجهاد في سبيل الله

## الجهاد جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية :

تتبلور المبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية أخذا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى عقيدة « الجهاد (١) فى سبيل الله » .

فقال تعالى :

**« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » .**

( الحج : ٧٨ )

وقال تعالى :

**« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله**

---

(١) الجهاد مصدر جاهد يجاهد مجاهدة وجهادا كقاتل، وهو لغويا المشقة وبذل ما فى الوسع ، وجاهدت العدو اذا قاتلته ، والجهاد شرعا هو استفراغ الوسع اى الطاقة فى مدافعة الأعداء وقتالهم ( كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ) ـــ الجهاد .

**فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم بة وذلك هو الفوز العظيم »**.
( التوبة : ١١١ )

* * *

وعن أبى داود باسناد صحيح ، عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم » أخرجه النسائى .

وعن ابى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

من اغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار » أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « قيل يا رسول الله اى الناس افضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله » اخرجه البخارى .

* * *

وعن ابى ذر رضى الله عنه قال : « قلت يا رسول الله اى الأعمال افضل ؟ قال : « الايمان بالله والجهاد فى سبيله » رواه البخارى ومسلم .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « واذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » اخرجه أبو داود .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » .

***

**الجهاد مبدأ من مبادىء الاسلام :**

فالجهاد بوجه عام يعتبر مبدا من مبادىء الاسلام التى اخذت مكانتها بين عقائده (١) وفروعه ، واستقرت دعوة القرآن الى الجهاد — على عمومه — متعلقة بذمة المسلمين جماعةوافرادا وتقتضيهم ان يؤمنوا بتشريع الجهاد — عامة — كايمانهم بأى معتقد صحيح سواه ، وان يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره مما فرض الله ، وقد قرن الله الجهاد بالايمان وجعله دليلا عليه أو ثمرة طبيعية له . كما يفهم من قوله تعالى : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك**

---

(١) كاد بعض الفقهاء يعتبر الجهاد ركنا سادسا من أركان الاسلام .

**هم الصادقون »** . فإن ذلك يفهم منـه أن الجهـاد بالأموال والأنفس آية على عمق الايمان وصدقه فى النفوس .

* * *

**الجهاد تكليف وتكريم للأمة الاسلامية :**

ولقـد جعـل الله تعـالى الجهاد هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الاسلامية كما يفهم من قوله تعالى :

**« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .**

( اى اختاركم ) فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله فى خير منزلة بين الأمم فى قوله تعالى :

**« كنتم خـير أمـة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .**

( آل عمران : ١١٠ )

وفى قوله سبحانه :

**« وكذلك جعلناكم أمـة وسطا لتكونوا شـهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .**

( البقرة : ١٤٣ )

ومعنى امة وسطا اى خيارا معتدلين ( ان خـير الأمور

الوسط ) ، ومعنى شـهداء على النـاس اى فى مقام عال فان الشهيد لغويا هو الذى ينظر من عل .

وقـد سبقت حكمة الله جـل شأنه أن تكون أمة محمد أمة مجاهدة عزيزة الجانب ولم يرد لها ان تخضع ولا ان ترضى بالذلة ولا أن تستكين الى هوان ، لذلك اوجب الاسـلام على المسلمين الجهاد فى سبيله واعلاء كلمته ونصرة الحق والدفاع عن العقيدة والوطن والأمة .

* * *

**هدف الجهاد فى سبيل الله :**

وتتميز عقيـدة الجهاد بوضـوح الهدف ، فان الغرض من الجهاد ليس غرضا ماديا أو حظا دنيويا ، وليس اغتصابا لحق أو عداوة على أحد ، وانما هو إعلاء كلمة الله ، وكلمة الله هى الحق وهى العـدالة وهى الرحمـة وهى الاخوة وهى السلام العام للفرد فى نفسه ودمه وماله وعرضه وللأمة فى كرامتها وعزتها وكل مقدساتها ، وللنـاس جميعا كما يفهم من قول الله :

**(( يأيها الذين آمنـوا ادخلوا فى السلم كافـة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين )) .**

( البقرة : ٢٠٨ )

وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

**« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم »** . ( الأنفال : ٦١ )

ثم ان كلمة سبيل الله تسع كل القيم السامية التى أشرنا اليها ، فلا يتأتى معها جور او غدر أو عدوان .

* * *

## الجهاد والايمان :

وربط الله سبحانه وتعالى الايمان بالجهاد فى صورة محكمة متماسكة بحيث يزول الايمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه وفى ذلك يقول الله تعلى :

**« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »** . ( الأنفال : ١٥ ، ١٦ )

ويقول جل شأنه :

**« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »** .

( التوبة : ١١١ )

ومما يذكر انه حينما نزلت هـــذه الآية قال الصـــحابة رضوان الله عليهم : ربح البيـــع لا نقيـــل ولا نستقيل . .
وكان المسلمون الأولون يتسابقون الى الجهاد ولا يعتذرون عنه أو يستأذنون النبى صلى الله عليـــه وسلم فى التخلف عنـــه كما يقول الله :

**(( لا يستأذنك الذين يؤمنـــون بالله واليـــوم الآخـــر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين )) .**

( التوبة : ٤٤ )

أما المنافقون الذين لا ايمان لهم فكانوا ينتحلون المعـــاذير فرارا من الجهـــــاد ويستأذنون فى النكوص عنه ، ويلجئون الى الاستنامة عنه والفتور .

كما يقول الله فيهم :

**(( انما يستأذنك الذين لا يؤمنـــون بالله واليـــوم الآخـــر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون )) .**

( التوبة : ٤٥ )

وهكذا كان من اجـــل ارضـــاء الله سبحانه وتعـــالى ومن أجل دخول الجنة حيث النظر الى وجهه الكريم ، يتسابق المؤمنون فى الجهاد فقد روى الامام مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم :

« قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض . فقال عمير الأنصارى رضى الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ .

قال : نعم .

قال : بخ بخ !! .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحملك على قول بخ بخ ؟ .

قال : لا والله يا رسول الله ، الا رجاء ان اكون من اهلها .

قال : فانك من اهلها .

فاخرج تمراته من قربة فجعل يأكل منهن ثم قال :

لئن انا حييت حتى آكل تمراتى هذه أنها لحياة طويلة ..

فرمى بما كان معه من التمرات ثم قاتلهم حتى قتل .
( رواه مسلم ) »

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعبر

الصادق دائما عن موقف المؤمنين يقول فيما رواه الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه :

« والذى نفس محمد بيده لوددت ان اغــزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .

فهو امام المجاهــدين حقا وأعلمهم بما ينال الشــهادة من رضوان الله ، وبما أعده لهم جزاء على صدق جهادهم وبلائهم ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى :

**« ولا تحسبن الذين قتلوا فى ســبيل الله أمواتا بل احياء عنــد ربهم يرزقــون * فرحين بمــا آتاهم الله من فضــله ويستبشرون بالذين لم يلحقــوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** .            ( آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ )

**أحكام الجهــاد (١) :**

للجهاد احكام تختلف باختلاف الدواعى والملابســات ، فهو أما مفروض على المسلمين جميعا لا يسقط عن بعضهم اذا نهض به الآخرون ويسمى فى هذه الحالة « فرض عين » ، وأما مفروض عليهم « فرض كفاية » يقوم به بعضهم فيسقط عن الباقين .

---

(١) الجهاد : د . احمد محمد الحوفى .

١ ــ فالجهاد يكون فرض عين فى الحالات الآتية :

( أ ) اذا صدر أمر ولى الأمر الى جميع افراد القوات المسلحة المعدين لهذا الغرض والذين يتقاضون رواتبهم من مال الأمة . وهذا الواجب على الجنود قائم على الشرع ، وقائم على العقد الذى أبرموه مع الولاة على الطاعة والجهاد .

(ب) واذا اعتدى العدو على بلد من بلاد المسلمين فانه يجب على أهل هذا البلد جميعا ــ جيشا وشعبا ــ أن يواجهوا العدو بما يستطيع كل منهم القيام به ولا يتخلف منهم أحد .

(جـ) فان عجز اهل هذا البلد عن صد عدوهم أو تكاسلوا عن النهوض له وجب الجهاد على من يليهم من الأمم الاسلامية وهكذا حتى يصير فرضا بالتدريج على المسلمين جميعا .

( د ) ثم هو واجب على كل من علم بضعف المسلمين عن محاربة عدوهم وقهره متى كان يستطيع أن يغيثهم ، لأن المسلمين كلهم يد على من سواهم .

( هـ ) كذلك يجب على المسلمين جميعا اذا ما قرب العدو دار الاسلام ولم يدخلها ، حتى يظهر دين الله ، ويصان الوطن ويهزم العدو .

***

**٢ ــ والجهاد فرض كفاية فى الحالات الآتية :**

( أ ) اذا كان بعض المسلمين قادرين على الدفاع وقتال الأعداء ، فاذا اعتدى العدو على بلد اسلامى وكان أهل هذا البلد قادرين على صده فان الجهاد ليس فرضا عينيا على جيرانهم ، بل هو فرض كفاية ما دام اخوانهم غير محتاجين اليهم .

( ب ) اذا كان المسلم ممن لا يستطيعون الجهاد بسبب المرض الذى يقعده أو كان ممن تنطبق عليهم اسباب الاعفاء شرعا (١) وسيرد ذكرهم فيما بعد .

وبصفة عامة فان الجهاد فرض كفاية اذا لم يكن العدو فى داخل بلاد الاسلام ، أما اذا كان العدو فى داخل بلاد الاسلام فالجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أينما كان .

* * *

**حالات الاعفاء من الجهاد :**

انما يجب الجهاد على القوى القادر عليه بخلاف العاجز فانه لا جهاد عليه ، لأن الجهاد يتطلب القوة وبذل الجهد ، وهو الوسع والطاقة فى القتال ، أو المبالغة فى اعمال القتال ،

---

(١) انظر كتاب الجهاد : د . احمد محمد الحوفى ص ١٨ ، ١٩ .

ومن لا وسع له ولا طاقة كيف يبذل الوسع والجهد ؟ فلا يفرض على الأعمى والأعرج والمريض والمقعد والشيخ الهرم المريض والضعيف والذى لا يجد ما ينفق ، كما قال تعالى :

**١ ــ (( ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج )) .**

( النور : ٦١ )

وكما قال عز وجل :

**٢ ــ (( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم )) .**

( التوبة : ٩١ )

فالاسلام لا يسمح بالتخلف عن الجهاد بالمال والنفس الا لأصحاب الأعذار المشروعة الذين صدقت نياتهم ، وصح ايمانهم بالله ورسوله ، ولكن لديهم من الأعذار ما لا يمكنهم من الجهاد فى سبيل الله .

فقد نفى الله تعالى فى الآية الحرج فى تخلف أولى الضرر من الضعفاء والمرضى والذين ليس لديهم من المال ما يمكنهم من القيام بالجهاد ، ونفى عنهم الاثم فى القعود عن الجهاد الواجب اذا اخلصوا حال قعودهم لله تعالى فى الايمان

وللرسول صلى الله عليه وسلم فى الطاعة واداء الأمانة بالقول والعمل ، ولا سيما فى الذى تقتضيه حالة الحرب .

فالنصيحة فى هــذه الحالة تكون فى كل ما فيــه مصلحة الأمة وللمجاهدين ومنهــا عرض الرأى الصالح ، وكتمان السر عن الأعداء ومقاومة خيانة الخائنين سرا وجهرا .

**الجهاد فى السلم والحرب :**

ان التكليف بالجهاد يتسع مداه ويختلف بحسب الظروف والملابسات ، وهــو فرض تختلف صوره باختلاف الحاجة اليه فى السلم والحرب ، فالجهاد فى السلم استعداد لا يفتر .

**فمن الناحية المعنوية :**

هــو استعداد معنــوى يقوى الايمان ويثبت الاعتماد على الله ويربى فى المسلم نفسه وضميره .

**ومن الناحية المادية :**

هو يقظــة وحذر واستعداد لصد العدوان ، وهو اعداد للقوة بكل ما تنطوى عليه من عناصر كالتسليح والتدريب والصناعة الحربية وشق الطرق وبناء المطارات وتجهيز مواقع الدفاع وبنــاء الهيكل التنظيمى للقوى المسلحة بريا وجويا

وبحريا ... الخ ، ويدخل فى معنى رباط الخيـل حراسة الثغور والمنشئات التى يتوقع هجـوم العدو عليهـا ويدخل فى معنى رباط الخيل فى هـذا العصر كل التدابير والاجراءات والأسلحة التى تكفل الانذار المبكر بالعـدوان مع الاستعداد الفورى لمواجهته .

**ثواب الجهـاد :**

صـور الله سبحانه وتعـالى الجهـاد فى سبيل الله بأنه من التجارة الرابحة مع الله عز وجل فقال :

**(( يأيهـا الذين آمنـوا هـل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسـوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسـكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجـرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عـدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبـونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين )) .**

( الصف ١٠ ـ ١٣ )

وصوره أيضـا بأنه عقـد تم بين المؤمنين وربهم فى قوله تعـالى :

**(( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـة )) الآية ...**

وقد أجمل الله ثواب الجهاد فى هذه الآيات فذكر انه سبيل للنجاة من عذاب اليم وانه وسيلة لمغفرة الله والعفو عن ذنوب المؤمن وانه يدخل المجاهدين الجنة ليستمتعوا بما فيها من نعيم دائم ومساكن طيبة ، وانه يحقق امال المجاهدين فى النصر والفتح ، والنصر يصدق على النجاة من العدو وعلى التغلب عليه .

## ١ — الجنة :

فالجنة التي وعد الله بها عباده المتقين ، يذوقون فيها من الوان النعيم ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر ، وينعمون فيها برحمة من الله ورضوان . هذه الجنة هى النزل الذى وعد الله به المجاهدين فى سبيله وهو — دون شك — منجز وعده ومحقق عهده .

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « مثل المجاهد فى سبيل الله — والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله — كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع اجر او غنيمة » .

وقال : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

وجاء فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم :

« ان فى الجنة لمائة درجة ، بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » .

ويطول الحديث اذا استطردنا فى عرض ما ورد فى القرآن والسنة عن نعيم الجنة ومتاعها . وحسبنا ان نذكر قوله تعالى :

**« وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » .**

## ٢ ــ المغفرة والحظوة بالنصر القريب العاجل :

ومن مثوبة الجهاد غفران ما تقدم من الذنب ، والحظوة بالنصر القريب العاجل .

فقد قال تعالى :

**« ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » .**

( النحل : ١١٠ )

فانه يفهم منه تأكيد انه جل شأنه ولى الذين هاجروا وناصرهم لأنهم ثبتوا على دينهم ، ولم تصرفهم الشدائد التى انزلها بهم أعداؤهم عن عقيدتهم ، ثم جاهدوا وصبروا ، وأكد انه غفور لهم رحيم بهم بعد هجرتهم وجهادهم وصبرهم ، ومعنى وليهم ناصرهم ومتولى أمورهم ومعينهم .

وقال سبحانه :

**« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » .**

( البقرة : ٢١٨ )

وقال تعالى :

**« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ».**

( الأنفال : ٧٤ )

* * *

وفى الحديث الشريف ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت ان قتلت فى سبيل الله ، أتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ان قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » .

والرحمة فى جانب الله تفسر بما ينشأ عنها من احسان وانعام كما قال العلماء ، لا باللين والرقة والرأفة فى القلب ، فانه تعالى ليس كمثله شىء ، أما تكفير الخطايا فمعناه اخفاؤها بالعفو عن مرتكبها ، فالجهاد فى سبيل الله سبيل الى تحقيق هذين الأمرين العظيمين .

## ٣ ـ الرضوان :

وحسب المجاهدين أنهم فى ظلال رحمة الله ورضوانه وأنهم فى الدرجة العليا التى أعدها لهم ووعدهم بها .

قال تعالى :

(( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم )) .

( التوبة : ٢٠ ـ ٢٢ )

* * *

* * *

وقد بين الله أن رضوانه على المؤمنين أعظم لديهم من نعيم الجنة لأن شعورهم به أعظم من شعورهم بغيره ، ثم اتبع ذلك بما يؤدى الى هذه الغاية العظمى وهو الجهاد ، وذلك حيث يقول سبحانه :

(( وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم * يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير )) .

( التوبة ٧٢ ، ٧٣ )

## ٤ ــ مكانة الشهداء :

قيل فى تعليل تسمية من يقتل فى سبيل الله شهيدا بأنه شهد المعركة أو الحرب ولم يتخلف عنها ، وقيل يسمى شهيدا لأنه يشهد فى حال الاحتضار ما أعد له من نعيم فى الجنة ، وقيل لأن الملائكة تحضره وتشهد وفاته وتبشره ولا شك أن مكانة الشهداء عند الله كريمة عظيمة كما يفهم من قوله تعالى :

**(( فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ))** . ( النساء : ٧٤ )

وقوله سبحانه :

**(( ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ))** . ( البقرة : ١٥٤ )

ويقول جل علاه : **(( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين ))** .

( آل عمران : ١٦٩ ــ ١٧١ )

كما يقول جل شأنه :

**« والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .**

( محمد : ٤ — ٦ )

ولقد عبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عما يناله الشهداء من رضوان الله فى أحاديث كثيرة منها :

— « والذى نفس محمد بيده لوددت ان اغزو فى سبيل الله فأقتل ثم اغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » .

— « ما من نفس تموت لها عند الله خير ، يسرها أن ترجع الى الدنيا وان لها الدنيا وما فيها الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة » .

— استشهد حارثة بن سراقة فى غزوة بدر ، فأتت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله الا تحدثنى عن حارثة ؟ فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء .. فقال عليه الصلاة والسلام : « يا أم حارثة انها جنان فى الجنة ، وان ابنك اصاب الفردوس الأعلى » .

هذه المكانة العظيمة للشهداء التى تلوح من كلام الله

ورسوله كانت تلهب المقاتلين شوقا اليها ، وتغريهم ببذل المهج والأرواح فى سبيل الله ، حتى لقد كان بعضهم يشم ريح الجنة وهو يخوض الأهوال ، ويقول منتشيا بالسعادة :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها

**التخلف عن الجهاد :**

عرفنا مكانة الجهاد من الايمان الصادق ، ومكانة المجاهدين عند الله ، وفى ضوء ذلك يمكن أن نعرف مقدار الجريمة فى التخلف عنه مع القدرة عليه فاذا تخلف شخص عن اداء واجبه بالنسبة للجهاد ، فقد خرج على المبدأ الاسلامى الالهى ، اذ أمر الله تعالى بالجهاد وحذر من التخلف عنه والتثاقل فيه .

قال تعالى :

**(( يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل * الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا )) .**

( التوبة : ٣٨ ، ٣٩ ) .

كما يبين ان ترك الجهاد والاستئذان فى التخلف عنه من شأن المنافقين وليس من شأن المؤمنين .

وهو ما يفهم من قوله تعالى :

**(( لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون )) .** ( التوبة : ٤٤ ، ٤٥ )

فليس من شأن المؤمنين بالله وباليوم الآخر الذى يكون فيه الأجر الأكمل على الأعمال وليس من خلقهم أن يستأذنوا فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اذا عرض المقتضى له ، لأن هذا من لوازم الايمان التى لا تتوقف على الاستئذان .

**(( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون )) .**

**(( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم )) .** ( النور : ٦٢ )

فالذين يستأذنون فى التخلف عن القتال والجهاد بالمال والنفس هم الذين لا يؤمنـــون بالله ولا باليـــوم الآخـــر ، لأنهم يرون بذل المال للجهاد مغرما يفوت عليهم بعض منافعهم منه ، ولا يرجون عليـــه ثوابا كما يرجو المؤمنون بل يرون الجهاد بالنفس آلاما ومتاعب وتعرضا للقتل الذى ليس بعـــده حياة عندهم .

فطبيعـــة كفرهم بالله واليـــوم الآخر تقتضى الكراهيـــة للجهاد والفرار منه ما أمكنهم ذلك ووجـــدوا اليه سبيلا .

وعلى المؤمن حقـــا أن يجاهد أو يعـــزم على الجهـــاد ولقد بين النبى صلى الله عليه وسلم إن من مات دون أن يقوم بالغزو فعلا ، ويعزم عليه ، أو يحدث نفسه به فانه يموت على شعبة من نفاق ( أو ميتة جاهلية ) .

فعن أبى هريرة رضى الله عنـــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بـه مات على شعبة من نفاق » .

وهذا الحديث دليل على وجوب العزم على الجهـــاد والحقوا به فعل كل واجب فان كان من الواجبـــات المطلقة كالجهـــاد وجب العـــزم على فعـــله عند دخول وقته .

وقوله : « ولم يحـــدث نفسه » أى أنه لم يخطر بباله أن يغزو ، ولا حـــدث به نفســـه ولو ساعة من عمـــره . ولو حدثها به وخطر الخروج للغزو بباله حينـــا من الأحيان ، خرج من الاتصاف بخصلة من خصال النفاق .

**الجهاد عقيدة عسكرية وتربوية معاً :**

وتتميز عقيدة الجهاد فى سبيل الله بأنها عقيدة عسكرية (١) وتربوية معا .

فهى لا تكتفى بالمحتوى المادى العسكرى كما هو الحال فى كل العقائد العسكرية المعروفة ، بل هى تحتوى أيضا على أصول تربوية هى فى حقيقتها من الضرورات الحيوية للجانب العسكرى ومن أهم عوامل النصر فى المعارك .

وذلك لأن الجهاد أنواعا ثلاثة هي :

( أ ) جهاد النفس .

(ب) جهاد الشيطان .

( جـ ) جهاد العدو الظاهر .

**جهـاد النفس :**

أما جهاد النفس فهو تخليصها من الأهواء والشهوات واتجاهها الى الحق فى ذاته ، لا حبا فى شهوة ولا رغبة

---

(١) م ١ .

فى متعة ، ولا رجاء فى أى شأن من شئون الدنيا ، ولم يعتبر مجاهدا من حارب شجاعة وشهرة ، وطلب مال ، وانما اعتبر المجاهد من يجاهد لارضاء الله وطلب ما عنده ولرفعة الحق وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة اعداء الله هى السفلى ، وان ذلك لاريب لا يكون الا اذا جاهد نفسه ، واخضع اهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى ، وجعل هواه تبعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وامر الله تعالى به وهو ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

وقد اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعد رجوعه من احدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » فالجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس هو عدة الجهاد الأصغر ، فالمجاهد فى ميدان القتال لا ينتصر فيه الا اذا اتم الانتصار فى الميدان الأكبر ، فلا ينتصر على عدوه الذى يحمل السيف حتى ينتصر على نفسه التى بين جنبيه ، وحتى تكون كل أهوائه وشهواته خاضعة لأمر الله تعالى ونهيه .

## جهاد الشيطان :

وجهاد الشيطان جبهة أخرى من جبهات الجهاد يعنى

بها الاسلام ويحرض اتباعه على الجيد فيها بالاستمساك بتعاليم الدين ومقاومة نزعات الشيطان ، فانه يستخدم غرائز الانسان ويزين له القبيح ، ويقبح الحسن ، ويقوده الى مزالق الشر والضلال . والشيطان يصدق على كل متمرد من الجن والانس .

وهكذا نجد المسلم القائم على حقيقة الاسلام المهتدى بهديه فى جهاد دائم لأن الصراع بين الحق والباطل معركة دائمة لا تنتهى أبدا . ومكان المسلم المجاهد من هذا الصراع أن يكون فى جانب الحق والايمان وان يوطن نفسه على الصبر ويروضها على احتمال المكاره والآلام والمشقات لأن ذلك هو السبيل الى الانتصار على الأعداء فى ميدان القتال .

# محتويات الكتاب

الكتـــاب القــــادم

النظرية الاسلاميـــة

فى

تقاليد الجندية وآداب الحرب

دار العلوم للطباعة

القاهرة : ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)

ت : ٣١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨١/٢٣٧٨

الترقيم الدولى : ٦ ـــ ٧٩ ـــ ٧٣٢٨ ـــ ٩٧٧